مواقع التواصل الاجتماعي كامتداد للمجال العام
سؤال التكتل، التدين، والهوية لدى التيار السلفي أنموذجا

The social networking sites as an extension of the general domain: question agglomeration, religiosity, and the identity of the Salafi trend as a model.

1-*كرايس الجيلالي،2- زمام ربيع

1-مختبر الديناميات الحضارية والتطور الاجتماعي في الجزائر/ كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أحمد بن بلة2،

2-كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر

تاريخ النشر: 2018/10/07 تاريخ القبول: 2019/07/08 تاريخ النشر: 2020/01/16

الملخص:لقد أصبح الواقع الافتراضي فضاء للكثيرين ممن قد يحملون هويات مغايرة لواقعهم الاجتماعي والثقافي، في وجود هويات ناشئة، تتموقع ضمن المركز الثقافي لمجتمع ما، مما قد يجعل مثل هذه الهويات تبحث عن فضاءات للظهور والتواصل بمجال أكثر حرية وأوسع نطاقا، ويعتبر الواقع الافتراضي من بين هذه الفضاءات التي تسمح لمثل هذه الهويات بالظهور والانتشار، وحتى التكتل مع من يحملون نفس الأفكار و القيم والمبادئ مع تعدد خلفياتهم الإيديولوجية، ومن بين هذه الهويات نذكر بالخصوص الهوية الدينية، التي تبرز وتظهر بشكل لافت في العالم الافتراضي، لذا سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تناول موضوع التدين، النشاط والتكتل في إطار هوياتي ديني لدى التيار الإسلامي السلفي من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الفضاء الافتراضي، الهوية، المجال العام، مواقع التواصل الاجتماعي، التيار السلفي.

Abstract:

Virtual reality has become a space for those who carry the identities of different social and cultural realities, in the presence of an emerging identities within the cultural of community, which makes this topic, such as identities are looking for spaces to be displayed and communicate more freely and witch field, and this virtual reality considered of these spaces which allow for such identities emerge and spread. And even thought the bloc with those who hold the same values and ideas and principals with multiple back grounds ideology and among these identities mention particular religious identities that stands out strongly, and impressively in the virtual mold, so we will try thought this paper witch dealt with the subject of religions bloc thin the framework of hosieries, with the Islamic Salafists movement through social networking sites.

The key words: Virtual reality, Identity, Public domain, Social communication sites, Salafists movement.

مقدمة:

"الله يخرج إلينا اليوم من قلب التكنلوجيا"(رقاد الجيلالي. كرايس الجيلالي، 2018: ص 141)

يمكن القول إن العلم بمختلف تجلياته قد وصل اليوم إلى أرقى صوره، حيث أصبح حاضرا في أدق وأبسط تفاصيل حياتنا الاجتماعية، من خلال استخدامنا للتكنولوجيا بمختلف أشكالها

* kerais2014@hotmail.fr

ISSN: 2253 – 0592 /الإيداع القانوني: 2751 – 2012 صنف (ج)

ووظائفها، لكن ما لم يكن متوقعا من طرف كل المبشرين بالعقلانية والمدافعين عن العلمانية، وعن ضرورة الممايزة بين المجال العام والمجال الخاص، وأن يكون المجال العام فضاء لكل ما هو مصلحة مشتركة، ومجالا يصنعه البشر، وهم من يحددون المسموح فيه والممنوع، دون الحاجة إلى وجود إرادة فوقية تفرض اتجاهاتها بنوع من القداسة والسلطة المطلقة. إذا فالمجال العام الذي أوجده البشر هو مجال يصلح لأن يعيش فيه المواطن، بالمعنى العام للكلمة لا المؤمن فقط، من حيث كونه يعتبر دولة للبشر، لا دولة لله كما صرح القديس أوغستين منذ قرون خلت، واضعا الحدود الفاصلة بين الدولتين.

غير أن بعض ما بشر به الحداثيون لم يتحقق على أرض الواقع، إذ أن الدين لم يبقى طويلا حبيس المجال الخاص، وإنما عاد بكل ثقله ليكون حاضرا في المجال العام، ومشاركا بصور عديدة، كالخطابات الدعوية التي لها أثر كبير، خاصة بعد أن أخذ المجال العام صفة العالمية، ولم تعد الدولة الوطنية قادرة على مراقبته، والتحكم في نوع الحوارات التي يفتحها، ومن هنا كانت التكنولوجيا هي تلك المجال العام المعولم، الذي سمح للدين بالعودة إلى صلب النقاش، وجعل الخطاب الديني يفرض نفسه على الجميع خاصة في عالم تتلاشى فيه الحدود الوطنية، وأصبح الأفراد يتجولون فيه بكل حرية، حاملين معهم هوياتهم المختلفة حيث ما ذهبوا (يورغن.هابرماس، 2013: ص 16).

وبالنسبة للعالم الإسلامي، الذي يعتبر فيه الدين من أكثر المواضيع طرحا و نقاشا، هذا النقاش الذي انتقل بدوره إلى مواقع التواصل الاجتماعي، التي تحولت إلى مجال للصراع بين المدارس الفكرية والعقائدية، والتي وجدت في العالم الافتراضي امتدادا للواقع الاجتماعي، باعتباره فضاء أكثر استقلالية وفعالية، لذا تلجأ من خلاله إلى النشاط والدعوة والتبشير بمبادئها ومعتقداتها، لا سيما التيار السلفي، الذي يحمل تصورا خاصا حول الدين، هو تصور غارق في الماضوية، ومطالبا بإعادة طرح الإسلام كما كان في بداياته الأولى، كما أنه يسعى إلى اقتحام مختلف المجالات وتحويلها إلى ساحة للترويج لأفكاره ومعتقداته، حيث كانت التكنولوجيا التواصلية من بين هذه الفضاءات، ومن هنا يمكننا طرح الإشكالية البحثية التالية :

كيف أصبحت المواقع التوصل الاجتماعي فضاء للتكتل الهوياتي، ولتمرير الخطاب الديني بالنسبة للتيار السلفي؟

أولا: مفاهيم الدراسة

1.الواقع الافتراضي:

نقصد به العالم الذي يتم صنعه بواسطة الوسائط الالكترونية، مما يسمح للفرد بالدخول في عالم الحاسوب بمختلف حواسه كالبصر، السمع، اللمس، وحتى الحركة مما يجعل الفرد يشارك في عالم وهمي، يبدو على درجة معينة من الواقعية، بالرغم من عدم وجوده في الواقع (مطاع. بركات، 2006: ص 410).

2. الهوية:

هي مركب من المعايير الذي يسمح بتعريف وضع وشعور داخلي، وينطوي الشعور بالهوية. على مجموعة من المشاعر المختلفة، كشعور بالوحدة والتكامل والانتماء والقيمة والاستقبال. والشعور بالثقة على أساس من إرادة الوجود (أليكس. ميكشللي، 1993: ص12).

3. المجال العام:

ويعرفه يورغن هاربرماس على أنه المكان الذي يتيح الحوار العلني والنقاش الحر، دون قيود تفرض على أفراد المجتمع، وهو مجال يمكن الأفراد من مناقشة القضايا والمشكلات ذات الاهتمام المشترك فيما بينهم، حيث يتيح هذا المجال للفرد فرصة التعبير الحر عن آرائه، دون ضغط أو إجبار من طرف المجتمع (هاني خميس أحمد. عبده، 2013: ص 39).

4.مواقع التواصل الاجتماعي:

عرفها حسين عوض على أنها منظومة من الشبكات الالكترونية، التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الانتماءات والهويات نفسها، أو يجمعه مع أصدقاء الثانوية أو الجامعة (www.qou.edu: 2016).

5.التيار السلفي:

السلفية قامت كرد فعل على كل ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية، من خلال الدعوة إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه، وإتباع نهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين (www.academia.edu: 2016).

6. الخطاب الديني: عرفه حسن الصفار على أنه ذلك الخطاب الذي يعبر في نظرنا عن أوامر الدين ونواهيه، وهو يحتل موقعا شديد التأثير لا يضاهيه في تأثيره أي خطاب آخر خاصة في عالمنا الإسلامي، فهو الذي يصوغ العقل الجمعي لأن مجتمعاتنا مرتبطة بالدين (حسن. الصفار، 2005: ص 18).

ثانيا: محاور الدراسة

المحور الأول: مواقع التواصل والمجتمع الرقمي:

لقد صرح جون نايت John Knight مالك أحد أكبر مجموعة صحف في الو.م. أ سنة 1946، معللا انتصار النازية والفاشية وتسميمهما للفكر الوطني بالاتجاهات المتشربة بالكراهية وسوء الظن، إلى سيطرتهما على وسائل الاتصال وتوظيفها في هذه العملية (هربرت. شلر، 2007: ص 49-50).

إننا في عصر التواصل وعصر انتقال المعلومة، وتبادل المعارف والخبرات والتكتل وفق خصائص التشابه والتطابق من حيث الأفكار والتوجهات الإيديولوجية والهوياتية، أي أن العالم اليوم تحكمه المعلومة من جهة، وكيفية التحكم فيها وخلقها والترويج لها من جهة أخرى، وخلق الأتباع والموالين دون اعتبار لمفهوم السيادة، الذي يقتضي وجود إقليم وسكان وسلطة سياسية (www.univ-media.dz: 2016)، أي أن السيادة لم تعد في مفهومها الصلب، حيث الدولة تتحكم في الوافدين والخارجين منها، بل أصبحت السيادة أكثر هلامية ومرونة وقابلية للاختراق والتفكك، إذ أصبح الأفراد يتبادلون الزيارات بشكل لم يسبق له مثيل، إذ يمكنك في اللحظة نفسها أن تكون موجودا في أكثر من دولة، وتتواصل بالصوت والصورة مع أكثر من جنسية ولغة ومعتقد ديني، حيث ظهرت المجموعات التواصلية ذات الخلفية الدينية، واعادة طرح فكرة الأمة، مثل مجموعة دعوية سلفية على منهاج النبوة، التي تضم سلفيين من مختلف أنحاء العالم (https://www.facebook.com/groups/1004892032866650/)إننا ببساطة في عصر التواصل الاجتماعي عبر مواقع افتراضية، استطاعت أن تخلق عوالم وهمية، يتواصل من خلالها الأفراد دون حاجة إلى تلك التعقيدات البيروقراطية، والإجراءات القانونية التي يصادفونها في الواقع.

إن الانترنت لم تعد فقط وسيلة للمساعدة على العمل بحكم أننا في عصر التكنولوجيا، ولكنها تحولت إلى أداة تواصلية بين الأفراد في علاقاتهم مع بعضهم البعض، وبقدر ما عزلتهم عن الواقع، وضربت التواصل الاجتماعي الحقيقي في الصميم، إلا أنها أنتجت من جهة أخرى مجتمعا رقميا مكونا من عدة تجمعات رقمية صغيرة، يشتركون في التكنولوجيا ذاتها، إلا أنهم يختلفون في الهموم والانشغالات، وهنا يمكن الإشارة إلى دراسة ميشيل فانسون حول أثر استخدام شبكات التواصل على العلاقات الاجتماعية في بريطانيا، من خلال عينة مكونة من 1600 مبحوث، حيث صرحوا بأنهم يقضون وقتا أطول على شبكة الإنترنت من ذلك الوقت الذي يقضونه مع أصدقائهم أو أفراد أسرهم (حسين. عوض، دون سنة نشر: ص 32).

لقد أصبح الأفراد أكثر ارتباطا بالتكنولوجيا في جانبها التواصلي، خاصة إذا عدنا إلى العالم العربي، الذي تبنى التكنولوجيا، ووجد فيها متنفسا آخرا للتعبير عن توجهاته وآماله وتطلعاته، في ظل واقع مجتمعي يسوده القمع ويغيب عنه مفهوم إبداء الرأي والحوار، لذلك وجد الفرد أو الإنسان العربي في مواقع التواصل، ذلك المجال الذي يصرح فيه بمواقفه السياسية، ومواقفه الدينية، وانتماءاته النقابية، بعيدا عن الجانب الرسمي والمتحكم فيه من طرف السلطة السياسية، حيث أن نسبة العرب المستخدمين لشبكة الفيسبوك، والتي تعتبر أكثر تداولا في المجتمع العربي هي في ارتفاع مستمر، إذ قدرت حسب آخر الإحصاءات بمعدل نمو يتجاوز 50 % (نادية. بن ورقلة، دون سنة نشر: ص 35)، أي أن مواقع التواصل أصبحت توازي الواقع أو تفوقه في عملية خلق مجموعات تتواصل فيما بينها، وتحاول التعبير عن اهتمامات مشتركة دون حاجة إلى التواصل الجسدي، أي أن مواقع التواصل لاسيما الفيسبوك، الذي يعتبر الأكثر انتشارا في العالم العربي لم يعد بدوره مقتصرا على إحياء الصداقات القديمة، أو تكوين معارف في إطار المدينة الواحدة أو الدولة الواحدة، بل تجاوز ذلك ليتيح للفرد التواصل مع كل من يماثلونه في الفكر أو الاعتقاد أو الاهتمام، عبر مختلف أنحاء العالم، وهنا تجاوز التواصل الاجتماعي الإعلام التقليدي، ذو الوجهة الواحدة إلى الإعلام ذو وجهتين، فهو يمنح الفرد فرصة التواصل مع الأشخاص الذين يعرفهم أو يعرفونه، أو الذين يشاركونه نفس الاهتمامات، ومن وجهة أخرى هو يقدم للأفراد المعلومة ويتيح لهم الترويج لفكر معين (دليل المشاريع الممولة من الاتحاد الأوروبي، 2014: ص 05).

ويمكن اعتبار مواقع التواصل الاجتماعي أماكن للتنظيم، حيث أن انخراط الأفراد في هذا المواقع لاسيما الفيسبوك في الوهلة الأولى يكون أشبه بدخولك إلى سوق فوضوي، لكن تلك الفوضى سرعان ما تجدها تختفي وتجد نفسك تتجاوز مرحلة الاستكشاف والتعرف، إذ يفرض عليك ضرورة اختيار توجه معين لتنخرط فيه وتباشر نشاطك، وفق ذلك التوجه الذي تنتمي إليه، وبالضرورة ستجد من يشاطرك الرأي، حيث شبه بعض الدارسين مواقع التواصل الاجتماعي على أنها تجمعات لأشخاص منخرطين في مجموعات محددة، وهي أشبه بتجمعات قروية أو ريفية، تشترك في صفات أساسية، أي أن الشبكات الاجتماعية على الانترنت تهتم بالأشخاص الذين يشتركون في صفات مميزة كأماكن العمل، المدارس، الكليات، المعاهد، الجامعات، أو أي مؤسسات أخرى لمجموعات موحدة الاهتمام (محمد. منصور، 2012: ص 29-30). خاصة الجانب الديني العقدي، فسرعان ما نخرط الفرد في مدرسته الفقهية والمذهبية، دون الكثير من الأسئلة.

ومن جهة أخرى يمكن القول: إن مواقع التواصل الاجتماعي وما أفرزته من مجتمعات رقمية، قد اعتزلت عن المجتمع من جهة وقاطعت الواقع، الذي لم يعد يعكس حقائق وإنما واجهات، حيث

يغلب على مجتمعاتنا العربية ظاهرة الخوف والشك والحذر من الآخر وعدم الكشف عن حقائقنا وعن ذواتنا للآخرين، ولذلك فإن مواقع التواصل الاجتماعي، قد أعطت هامشا من الحرية للمتصفح، وجعلته يتعرف على أشخاص يحملون نفس الهموم والتطلعات، وهو بذلك أصبح يعيش الواقع من خلال العالم الافتراضي أو العالم الوهمي، حيث أثبتت دراسة أجريت سنة 2009 في جامعة تكساس، أن الناس يقبلون على استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، بهدف التعبير عن حقيقة شخصياتهم، بدلا من رسم صورة مثالية عنها، لاسيما أولئك الأشخاص الذين يحملون مشاريع جادة، أو توجهات فكرية أو دينية أو سياسية مقموعة في الواقع، وبذلك فهم يبنون واقعهم الخاص، من خلال تلك المواقع التي أعطتهم حرية التعارف والتواصل والتعبير، وبهذا يمكن القول إن مواقع التواصل أخذت شكلا مشابها لما عبر عنه هاربرماس في حديثه عن الفضاء العام، الذي جعل من خصائصه، إمكانية إتاحة الحوار العلني والنقاش الحر، دون قيود تفرض على أفراد المجتمع، وهو مجال يمكن الأفراد من مناقشة القضايا والمشكلات ذات الاهتمام المشترك فيما بينهم، حيث يتيح هذا المجال للفرد فرصة التعبير الحر عن رأيه دون ضغط أو إجبار من جانب المجتمع، وتتم فيه مناقشة قضايا المجتمع أكثر حرية وعقلانية (هاني خميس أحمد. عبده، 2013: ص 39). حيث نجد صفحة التربية والتصفية السلفية، والتي تضم أكثر من خمسين ألف منخرط، يحملون هما واحدا وهو تصفية عقيدة المسلمين من الاختلالات التي لحقت بها (https://www.facebook.com/tsfia.tarbia/)وهي مجموعة تعرف اقبلا واسعا من طرف السلفيين، كون عملية التصفية والتربية من أهم المرتكزات السلفية التي نادى بها الألباني أحد أهم رموز السلفية المعاصرين، بهدف تكوين هوية صلبة ومتماسكة ولها مرتكز عقدي واحد.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي، وما خلفته من انعكاسات على الواقع، تثبت أنها ليست مجرد وسيلة للاتصال أو التواصل، فهي جمعت من جهة بين خصائص وسائل الإعلام، من خلال نقل المعلومة، وبين خصائص وسائل الاتصال، التي تضمن نقل رسائل بين أفراد المجتمع. إلا أنها أصبحت تنقل المعلومة وتنقل الرسائل وفي نفس الوقت خلقت عوالم افتراضية، وجعلت الملايين من البشر يتواصلون ويخلقون انتماءات عابرة للحدود والقارات، تلك المجتمعات التي أصطلح على تسميتها بالرقمية، غير أنها في كثير من الأحيان تحمل مشاريع جادة وأهدافا تطمح من خلالها إلى إعادة أشكلت الواقع، انطلاقا من الواقع الرقمي، الذي ربما انطلق متخيلا وانتهى فاعلا رئيسيا في تحديد ملامح المجتمعات البشرية، أي الانتقال من المجتمع الرقمي، إلى المجتمع الحقيقي، الذي سيعيد صياغة الواقع وفق أولوياته وطموحاته.

المحور الثاني: التكتل في العالم الافتراضي كبديل للتشتت في الواقع

إن مواقع التواصل الاجتماعي لم تعد مجرد وسيلة لتداول المعلومات أو نقل الأخبار، بل أصبحت اليوم مجالا يكون فيه الأفراد صداقات ومعارف، ويخلقون انتماءات تبدأ بمجرد صداقة ومعرفة لربما سطحية، وتنتهي إلى مسائل أشد تعقيدا من ذلك، إذ تتيح لهؤلاء الأشخاص الباحثين عن نوع من الصداقة، التي لم يجدوها في الواقع، وهنا يمكن أن نسمي هذه العملية بالبحث عن الصداقة بمواصفات محددة وانتقائية، خاصة أن كيفية أو طريقة التعارف داخل هذه المواقع تكون عن طريق إرسال طلب من شخص إلى شخص آخر، طبعا بعد أن يكون قد زار صفحته الشخصية، وتعرف على هويته من خلال حسابه الشخصي، أو الجدار، أو ما يعرف بالبروفايل**Profil**، لأننا بصدد تناول موقع الفيسبوك**(facebook)**الذي يعتبر من أكثر مواقع التواصل الاجتماعي شيوعا في المنطقة العربية وفي العالم.

كما أن المنشورات تتيح معرفة توجهات وميولات من نفكر في تحويله إلى مشروع صديق، إضافة إلى أن عملية الرد على طلب الصداقة يكون إما بالقبول أو الرفض، وتتم بعد الدخول إلى حساب من أرسل إلينا، والتعرف على هويته وعلى شخصيته، التي تعكسها منشوراته، وانتماءاته في العالم الافتراضي، وهنا فقط إذا حدث نوع من التوافق والتلاقي من حيث الأهداف والغايات تتم إجراءات خلق الصداقة وتفعيلها، على مجموعة من الأسس المتفق عليها بين المنتسبين إلى المجموعة، حيث تضع كل مجموعة فيس بوكية شروطا للانضمام إليها خاصة المجموعات الدينية مثال مجموعة تعريف العامة بالدعوة السلفية، حيث تفرق بين الناشطين من السلفية وبين المنخرطين من العامة، وتلزم السلفين بالتغاضي عن العامة وعدم التغليظ عليهم في الرد، إضافة إلى جملة من الأهداف التي تسعى إلى نشرها)(https://www.facebook.com/groups/1622236908045081/à

ويمكن القول: إن هذا النوع من الصدقات ينشأ ويتكون بطريقة أشبه بالكرة الثلجية، التي يزيد حجمها عن طريق الحركة والاتحاد مع ما يشبهها من حيث الخصائص، إلى درجة أن تتحول إلى كرة عملاقة وصلبة ومتماسكة، من مادة تكاد تكون متشابكة في ما بينها ومتلاحمة، وهنا ننتقل من تصفح جدار الصديق سواء تحت الطلب أو العارض للطلب، إلى تصفح جدار المجموعة التي ينتمي إليها، والتي تعكس الخيارات الكبرى لمجموعة من الأفراد، وهنا يمكن تشبيه الانتماء إلى مجموعة تواصلية في العالم الافتراضي ودورها في التعريف بالفرد، بمفهوم النسب في المجتمع القبلي، حيث أن نسب شخص ما يسهل علينا عملية البحث عن شريك جدير بالقبول، والذي ينتمي إلى القبيلة نفسها، أو إلى قبيلة نشترك معها في الخصائص أو الجد الأعلى (حسن. رشيق، 2013: ص117)،

هذه القبيلة التي عوضتها المجوعة التواصلية وأصبحت هوية وعنوانا ثقافيا يشترك فيه الأفراد، ويختارون الصداقات بناء على الانتماءات الجماعية.

إن مواقع التواصل ساهمت في خلق تكتلات لأفراد، ربما لم يجدوا ما يمثلهم في الواقع، ولذلك فهم يسعون إلى الالتقاء داخل هذه العوالم، وينتسبون إلى تلك المجموعات، التي أصبحت هويات متخيلة وبديلة عن الانتماء للأمة بمفهومها القانوني، الذي يشترط وجود رقعة جغرافية، خاصة إذا عدنا إلى مفهوم الأمة لدى **أنطوان سعادة** إذ فرق بينها وبين السلالة، ذلك أن السلالة شكل فيزيائي عام، أم الأمة فهي اقتناع عام، كما أن الأمة تتكون عبر عصور من الزمن، ويكون قد عمل على تكوينها فكر وشعور وإرادة عقلية بشرية(www.ssnp.info: 2016).

لقد أصبح بالإمكان لأي جماعة من الأفراد بغض النظر عن عددها، أن تخلق هويتها وأمتها المتخيلة من طرفها، وتصنع محدداتها، هذه الخاصية، التي جاءت التكنولوجيا التواصلية لتساعدها على تحولها إلى حقائق، إذ أصبح الكثير ممن يحملون فكرا أو توجها معينا، يلتقون مع غيرهم ممن يحمل نفس الفكر، من أجل الدفاع عنه والبحث عن سبل تنميته وتطويره، أو حتى نشره، بل يجعلون منه هوية مشتركة، يقدمون أنفسهم للعالم على أساساها داخل العالم الافتراضي، ويناضلون من أجل أفكارهم وميولا تهم، بصفة قد تصل إلى حد العالمية، من خلال استدعاء شركائهم في الهوية المستحدثة غير معترفين لا بحدود أو وطن أو جغرافيا، وفي غالب الأحيان يكون هذا التكتل مشحونا بنزعات هوياتية، ويكون الهدف من ورائه نقل تلك الهوية المستحدثة من العالم الافتراضي إلى العالم الواقعي، أو العكس بغرض التصدير وخلق الأتباع في مناطق أخرى، وهنا يمكن إدخال مواقع التواصل الاجتماعي في إطار ما أصبح يعرف بالمجال العام، الذي يؤخذ معنى أي ميدان عام يلتقي فيه الأفراد، الذين لديهم اهتمام مشترك لمناقشة القضايا المشتركة بينهم، وبهدف تبادل الآراء، وغالبا ما يكون ذلك عن طريق توليد نوع من الضغط لتحقيق غرض سياسي أو قانوني (هاني خميس أحمد. عبده، 2012: ص39).

وعلى هذا الأساس يمكننا نفي العبثية المطلقة عن التواجد في مواقع التواصل، لأنها أصبحت اليوم موجودة لأغراض أكثر تعقيدا وعمقا، فالكثير من المتفاعلين داخلها يبحثون عن نوع من التكتل والتشابك مع من يشاطرونهم الهوية ذاتها، وهذا ما أشار إليه **أنطوني غيدنز** حيث صرح قائلا: **"إننا اليوم نتمتع بفرص غير مسبوقة لنصنع أنفسنا ونشكل هوياتنا المتميزة"** (أنطوني. غيدنز، دون سنة نشر: ص 91)، أي أن التكنولوجيا والحداثة بقدر ما مجدت العقل، إلا أنها خلقت في المقابل العديد من الممارسات، التي جعلت التواصل الإنساني ضعيفا، إلا أنها قد بعثته من جهة أخرى، فحطمت عوالم وأنشأت عوالم أخرى مبنية على علاقات وجدانية أكثر منها عقلية.

إذا هناك تواجد متزايد لأشخاص في مواقع التواصل الاجتماعي، يبحثون عن من يشبههم ويروج لنفس أفكارهم، خاصة أن مواقع التواصل الاجتماعي لا سيما الفيسبوك، الذي أصبح يتيح للأفراد التكتل في مجموعات خاصة، لها أهداف وتوجهات ولها مسيرين،كما تساهم في التواصل المتطابقين فكريا وإيديولوجيا وتأطيرهم في عمل مشترك، وهنا يمكن الإشارة إلى تلك المجموعات، التي تشتغل على أبعاد ثقافية ودينية وإيديولوجية وغيرها، كالأقليات الدينية والعرقية وصولا إلى الشواذ وغيرهم، حيث بلغت نسبة قراءة المدونات الأشخاص والتعليق عليها، وإعادة نشرها أو الإعجاب بها نسبة 18% مباشرة بعد نسبة المحادثات التي تشكل 50% من مجمل الخدمات التي توفرها مواقع التواصل (هناء. سرور،2015: ص 20).

وهنا يمكن القول: إن قراءة ما ينشره الأشخاص، أو ما تروج له المجموعات والصفحات التواصلية، من أفكار تشير إلى أن هناك بحث دائم عن شيء ما، مفقود أو غير معبر عنه بشكل صحيح في العالم الواقعي، ولذلك فالمتفاعلون في مواقع التواصل الاجتماعي يرفضون واقعهم، بل يبحثون عن واقع آخر يصنعونه بأنفسهم، يتجاوز الخضوع للسلطة السياسية التي أصبحت تحد من حرية الأفراد، لذلك يمكن القول إن هناك جنوح عالمي إلى تجاوز الدولة القطرية، والتأسيس للمجتمع العالمي، إذ يمكن تشبيه تلك المجموعات بالمجتمع المتشابك والمعقد من الأفراد أو الجماعات والمؤسسات على الصعيد العالمي، ومن مختلف الأمم التي تسعى إلى إقامة علاقات فوق دولهم، يمكن اعتبارها تدفقات عابرة للقارات(الهواري عدي، : ص128).

إن الأفراد داخل مجتمعاتهم وأوطانهم، لم يعودوا منسجمين بذلك الحجم، الذي تصادف مع ظهور الدولة الوطنية، وبصيغة أخرى هم يبحثون عن انتماءات جديدة، يغلب عليها طابع الاشتراك في خاصية تكون الغالبة عليهم، كالانتماء إلى دين معين، أو إلى تأويل معين للدين، أو إلى جماعة عرقية معينة، خاصة إذا علمنا أن هذه الانتماءات الفرعية، أصبحت منتشرة في مختلف أنحاء العالم، وهي تبحث عن من يجمعها، ويلملم شتاتها لتجسيد مشروعها وإعادة إطلاق المجتمع العابر للأوطان، حيث نجد مجموعة قناة منهاج النبوة 02 تضع منشورا ثابتا يدعوا المنتسبين اليها إلى دعوة المزيد من الناس للانتساب إليها ولتكوين مجتمع يؤمن بأفكارها وخياراتها(https://www.facebook.com/groups/Menhag.Alnbowa2.tv/)هذه القدرة على الجمع والتلاقي دون اعتبار للحدود وللأوطان وللقوانين، قد وفرتها مواقع التواصل، حيث أصبحت شبكة الانترنت مليئة بالملايين ممن يتطلعون إلى اللقاء، حتى يتكاتفوا في إشهار هويتهم وانتماءاتهم (محمد. منصور، 2012: ص 29-30).

لم يعد العالم اليوم مكونا من مجموعة من الدول وكل دولة تعكس هوية موحدة، بل أصبحت كل دولة تعج بهويات فرعية تشعر أنها مضطهدة أو غير ممثلة في النسق الهوياتي المتجلي في الدولة، وبذلك هي تسعى إلى خلق هويتها الخاصة، واستدعاء كل المنتمين إليها عبر العالم، من خلال مواقع التواصل الاجتماعي التي زادت من حدة التدفقات العابرة للأوطان، فمن جهة هي تفتت الوطن، ومن جهة أخرى توحد شتات الهويات الفرعية، ولذلك نحن اليوم أمام المجتمع العابر للقومية، الخاضع للتدفقات الاقتصادية والثقافية البشرية، واليوم قد توحدت البشرية كما لم يحدث ذلك سابقا بالمرة (عدي. الهواري،2012: ص 128).

حيث أن مواقع التواصل ومن خلال خلق مجموعات تواصلية داخلها، أصبحت تنادي وتناضل من أجل فكر معين، وتسعى إلى التوحد والانصهار فيما بينها، وقد خلقت أمما غير تلك الأمم الموجودة والمعترف بها في الساحة الدولية، بل هي أمم صنعها الأفراد وانتسبوا إليها بإرادتهم، هروبا من أممهم الحقيقية، التي لم تعد تعكس تطلعاتهم، وهنا يمكن الإشارة إلى الأمة كما عرفها **ارنست رينر** على أنها **"إرادة الحياة المشتركة"**، أي أن الأمة لديه، هي جماعة من البشر ذات إرادة و حياة مشتركة (www.alard.com.uk: 2016)، و لم تعد مواقع التواصل الاجتماعي مجرد فضاءات للدردشة، وللتعارف في معناه الضيق والسطحي فقط، بل أصبحت تشكل في رهاناتها المستقبلية خطرا أو تهديدا على تماسك الدولة الوطنية، إذ أنها خلقت تكتلات وهويات جديدة تسعى إلى ترسيمها وتفعيلها مخترقة فكرة السيادة ومتجاوزة لها.

المحور الثالث: الخطاب الديني واستغلال التكنولوجيا

"إن اليوتوبيا الالكترونية الراهنة للسلفيين أصبحت تلزمهم بإعادة التشكل والبعث لكونية الخطاب الديني"(رقاد الجيلالي. كرايس الجيلالي، 2018: ص 141)

إذا انطلقنا مما أثرناه سابقا حول أن التكنولوجيا في جانبها التواصلي لم تعد فضاء ترفيهيا، أو فضاء للتعارف السطحي، بل قد تحولت إلى ظاهرة تحمل الكثير من الخطر على الدولة الوطنية، إذ أنها أتاحت المجال للكثير من الانتماءات، التي يمكن القول: إنها هويات راسبة في أسفل إناء يتميز بالهدوء، لكن لم يعد ممكنا بعد الآن وفي ظل التكنولوجيا الحفاظ على ذلك الهدوء. إذ وجد المتحدون ثقافيا، والمشتتون واقعيا فرصة للتكتل والمطالبة بالصعود إلى السطح، والتلاقي في عالم قد تجاوز الدولة وقوانينها، وقد جعل البحث عن الهوية كما يفهمها الناس ويتصورون أنفسهم من خلالها ويؤسسون لما يريدون أن تكون عليه حياتهم قد أصبح أمرا ممكنا (أنطوني. غيدنز، دون سنة نشر: ص 90).

إن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت فضاء لتمرير خطابات، وتوجيه رسائل مشفرة وبصفة عالمية إلى كل من يشتركون في نفس الخطاب، وهنا يمكن القول: إن مواقع التواصل الاجتماعي هي أشبه بإعلان عالمي، يدعو الأفراد إلى خلق هوياتهم، والانتماء إليها والدفاع عنها بكل حرية، وإذا ربطنا التكنولوجيا بالحداثة فإننا نربطها بالعقل وصرامته، أي أنها بعيدة عن الوجدان وعن الترسبات الفلسفية وأخلاقية، لاسيما الدين الذي تحكمه علاقة متناقضة بالحداثة، لكن يبدو أن مواقع التواصل الاجتماعي، قد شذت عن مسلمات الحداثة، وبدلا من تمجيدها للعقل بنوع من الصنمية، نجدها تنفتح على كل خطاب بما في ذلك الخطاب الديني، الذي اقتحم هذه المواقع، وربما أصبح يفضل الانتشار من خلالها، لاسيما إذا اتفقنا مبدئيا بأن التواصل التكنولوجي، وما خلقه من فضاءات، يمكن أن يلتقي فيها الإنسان مع أخيه، هذا اللقاء الذي يجعلنا نعتبره شكلا راقيا من أشكال المجال العام، الذي لم يعد متصارعا مع الدين، بل عدد المؤمنين بمجال عام يخلو من الدين ومتجرد منه في تنازل مستمر (يورغن.هابرماس، 2013: ص 93).

وهنا يمكن أن نشير إلى تلك المجموعات الافتراضية أو الصفحات أو حتى المواقع الإلكترونية، التي أصبحت تختص في الترويج لمعتقد ديني أو مذهب بعينه، والتي هي في تنامي مستمر، لاسيما داخل فضاء الفيسبوك، إذ يمكن القول: إن مواقع التواصل الاجتماعي بصفتها مجالا عاما، لم تعد تحتوي الدين فقط، بل أصبحت مجالا يتصارع فيه المتدينون كل وفق تصوره للدين، مثلا نجد مجموعة قناة البينة لمقارنة الأديان والرد على الشبهات، قد أصبحت مجالا للمناظرات الدينية، بين الأديان المختلفة، من جهة احيت علم فقه الردود، والرد على المخالف

(https://www.facebook.com/albyyinah1/) هذا الذي ما يجعلنا نشير إلى أن المجال العام أصبح يوفر قنوات لتمرير كم هائل من الخطابات الدينية، لأن الدين ثابت لا يتغير أما الخطاب، فهو ما يستنبطه ويفهمه الفقيه والعالم والمفكر من النص الديني (حسن. الصفار، 2005: ص20). وهنا يمكننا القول: إن الصراع المذهبي الذي يحكم مختلف الديانات السماوية، والذي يحكمه الاجتهاد، إضافة إلى السياسة والتاريخ والاقتصاد وغيرها من المعطيات، ساهمت في أشكلت هذه المذاهب، وفي تعدد الخطابات، التي يقدم كل مذهب نفسه فيها على أنه التعبير الصحيح عن الدين، وأنه في عملية دعوة مستمرة للأشخاص لتبني أطروحاته، كما أنه يشكل القناة الوحيدة التي تربطهم بالمنبع، أو بصفة أخرى أنه الوصفة الوحيدة، التي تنتهي بهم إلى الخلاص، هذا الصراع الذي بقي حاضرا في تاريخ مختلف الأديان بما فيها الإسلام، وأصبح أكثر حدة وعلانية بعد عودة الدين إلى المجال العام، لاسيما ضمن مواقع التواصل الاجتماعي، التي يبدوا أنها أعادت طرح فكرة الدين، وهي لا تعترف به في جانبه التوافقي، أي أنها أعادت طرح مسألة من يمثل الإسلام؟

من خلال مجموعات تواصلية تحت مسميات دينية ومذهبية، تروج لنزعتها وتقدم ما يهدم المذهب آخر ويلغيه، إذ أصبحت صفة المتدين هي التعريف للمرء، بدلا من المسلم أو المسيحي (يورغن. هربارماس، 2013: ص 191).

إننا لا نقصد بكلمة متدين الشخص الملتزم بالتعاليم الدينية، بقدر ما نقصد به طريقة فهمه للدين والتأويل، الذي يتبناه وبذلك فإن التواصل التكنولوجي بوصفه مجال عاما لم يعد معاديا للدين، ولم يعد ينظر إليه على أنه يقع في المجال الخاص، إذ أصبح في كثير من الأحيان من أهم القضايا المطروحة للنقاش داخل مواقع التواصل الاجتماعي، وهنا يمكننا القول: إن إعادة طرح الدين كقضية للنقاش وبحدة، يحيلنا إلى أن المجال العام الذي انبثق عن الحداثة، كان قاصرا، حينما أزاح التدين خارج مفهوم الصالح العام، أو أنه لم ينجح في إخراجه، وإنما المجال العام في حد ذاته لم يكن متحررا بالقدر الكافي، وإنما كان خاضعا لسلطة عقلية مجحفة، بينما اتخاذ المجال العام صفة العالمية، وتحوله إلى منطقة تبادل حرة، جعل الخطاب الديني على اختلاف توجهاته، يعود بقوة إلى الواجهة، وهذا ما أشار إليه يورغن هابرماس عندما صرح إننا في مرحلة ما بعد العلمانية وعودة الدين إلى المجال العام، إذ نحن مضطرين في الفترة المعاصرة إلى الاستماع لرأي رجل الدين في النقاش السياسي العام (هاني خميس أحمد. عبده، 2012: ص 41).

ومن هنا يمكننا القول: إن الاستماع إلى رأي رجل الدين، لم يعد مقتصرا على المجال السياسي، بل إن رجل الدين أصبح يطل علينا من قلب التكنولوجيا ليمرر رسائله، ويدعونا من جهة إلى إتباع دين أو مذهب معين، ومن جهة أخرى يطلب منا أيضا إتباعه بوصفة معينة، وهذا أيضا يشير إلى نموذج جديد من رجال الدين، الذين لم يعودوا معتكفين في مساجدهم أو معابدهم بصفة عامة، ومنعزلين ورافضين للحداثة، بل أننا أمام نموذج من رجل الدين المتصالح مع التكنولوجيا، والذي يوظفها في عملية تمرير خطابه الديني، وإعادة بعث الدين من قلب التكنولوجيا، ومن قمة الجنوح نحو العقل، حيث كثيرا ما تصادفنا منشورات سواء على الفيسبوك، أومن خلال تصفحنا لأي مواقع أخرى، تدعونا إلى التدين وإلى الالتزام وتذكرنا بخطورة الابتعاد عن الله، وهذا ما أشار إليه هابرماس بالانتشار الواسع لفكرة إحياء الإيمان، التي شملت المسلمين والمسيحيين على حد سواء (يورغن. هاربرماس، 2013: ص 91). وفي النموذج الإسلامي نجد التيار السلفي، أكثر حضورا في مواقع التواصل، عن طريق العديد من المجموعات التي تنشر لكبار علماء السلفية في العالم، كون التيار السلفي يتكون من الشباب بنسبة جد كبيرة، وهي متحكمة في التكنولوجيا ولذلك أصبح الفضاء التواصلي هو مجالها الحيوي للتوسع.

إن مسائل "الدين" أصبحت أكثر طرحا داخل المجال العام، ربما مدشنة لمرحلة جديدة، تثبت أن العلمانية الغربية التي كان من أبرز محدداتها التأكيد على فصل الدين عن الدولة، أصبحت اليوم في مرحلة الأفول (هاني خميس أحمد. عبده، 2012: ص 22)، حيث أنها لم تعد قادرة على صد تلك النزعة الدينية، التي أصبحت في تزايد مستمر، وربما كان من الضروري أن يعود الدين لعقلنة الحداثة، التي ومن خلال سيطرتها على المجال العام، كادت أن تشكل خطرا على العلاقات الإنسانية، وهنا أصبح من الضروري استدعاء الدين، ليقوم بدور ما داخل المجال العام، إذ لم يعد المجتمع العلماني، يخلو من ذلك الخليط من الوعظ والعروض الشفهية الأخرى، وتوزيع المواعظ والكراسات المطبوعة، وغيرها من النصوص (يورغن. هاربرماس، 2013: ص 194-195).

إن دور الدين الذي أصبح أكثر من ضروري داخل مجتمع طغت عليه الفردانية المتوحشة، كان لابد من إعادة أخلقته بأسلوب ما، وربما كانت المواقع التواصلية من بين أبرز قنوات عودة الدين، إذ أنها أدخلت الدين وسجلاته، حتى إلى بيوت الملحدين واللادينيين، وفرضت عليهم أن يصادفوا المواعظ، وهم يتصفحون مختلف المواقع في الانترنت، وأصبحوا بطريقة أخرى مجبرين على التعامل مع الدين، ومع الخطاب الديني، الذي إما أن يدعوهم لأن يكونوا مؤمنين، وإما أن يحرك فيهم الحنين حول هوية محورية وأساسية، تتميز بالاستمرارية والنسبية عبر الزمان والمكان (أنطوني. غيدنز، دون سنة نشر: ص 90). ومن هنا يمكننا القول: إن التكنولوجيا التواصلية، قد أصبحت من أهم وسائل تمرير الخطاب الديني، وإقحامه في مختلف النقاشات السياسة والاقتصادية والثقافية، لاسيما داخل المجتمع الإسلامي، الذي لم يفصل بعد في دور الدين ومجاله.

المحور الرابع: السلفية كظاهرة دينية واستدعاء الماضي

يقول على شر يعتي:**"الدين ظاهرة مدهشة تلعب في حياة الناس أدوار متناقضة، يمكن له أن يدمر ويمكن له أن يبث الحيوية، يستجلب النوم أو يدعوا إلى الصحوة، يستعبد أو يحرر، يعلم الخنوع أو يعلم الثورة"** (يورغن. هاربرماس، 2013: ص 181).

إن توصيف **علي شريعتي** للدين وإعطاءه هذا التعريف، الذي يحتوي على التناقض، ويقدم القضية ونقيضها في قالب واحد، يحيلنا إلى أن ما يقصده هذا المفكر ليس الدين بوصفه نصا ثابتا، إنما هو يتحدث عن الدين بوصفه تأويلات ومدارس فقهية، خاصة إذ تكلمنا عن عالمنا الإسلامي، إذ أن الإسلام كدين وكنصوص مقدسة، ربما هو اليوم خارج حالة الصراع التي تشهدها مجموعة من التأويلات، التي أعطيت للإسلام، حيث يرى **محمد أركون** أن التراث الإسلامي يحتوي على ذلك الإسلام الأرثودوكسي المستقيم في المدرسة السنية، وإسلام أهل العصمة والعدالة عند

المدرسة الشيعية، بالإضافة إلى مدارس ومذاهب أخرى، حكم عليها بالهرطقة والانحراف، لكن كل تلك النزاعات يطلق عليها الإسلام، غير أنها في حقيقة الأمر هي تقدم نفسها على أنها إسلامات متعددة (محمد. أركون، 1999: ص 189).

وإذا عدنا إلى الفترة المعاصرة التي تشهد عودة للدين في مختلف المجالات، وحتى في الدول الأوروبية التي تعتبر البيئة الأصلية لفكرة العلمانية وتحييد الدين عن المجال العام، إلا أنها أصبحت اليوم مجتمعات متصالحة مع الدين، بل يمكن القول: إن العودة إليها أصبحت اليوم أكثر من ضرورة ملحة لتحفيز العلمانيين، أو الملحدين على الانخراط في أعمال ما، لا سيما في الحروب، التي أصبحت تأخذ الطابع المقدس، هذه الفكرة التي ربما اختفت أو تماهت في المجتمعات الأوروبية مع نهاية القرون الوسطى وبداية عصر الحداثة والعقل، تعود اليوم بقوة، حيث أن كل الحروب أصبحت تنطلق بمباركة من رجال الدين، فمثلا حرب العراق انطلقت بعد صلاة الرئيس بوش في الكنيسة، ومباركته للطائرات بعبارات دينية، كذلك الأمر في التدخل الروسي في سوريا، الذي تم بعد مباركة الكنيسة الأرثوذكسية للجنود الروس، وهم في طريقهم إلى فض نزاع ذو خلفية دينية، بالإضافة إلى أن كل ما يحدث في الشرق الأوسط اليوم من حروب، تدعي الحفاظ على الأوطان، وصيانة الحقوق والحريات، هي في واقع الأمر في مهمة مقدسة، تتمثل في الدفاع عن أبناء الطائفة والمذهب، وهنا تجدر بنا الإشارة إلى تيار المحافظين الجدد، الذي كان من أبرز مظاهر وتجليات مرحلة ما بعد الحداثة، وهو تجلي يسعى إلى إقامة دولة الرب لدى مختلف الشعوب، وهو شديد النقمة على الحداثة وعلى ما آل إليه العالم، في ظل العقلنة القاتلة (للمزيد انظر كتاب إبستمولوجيا السياسة المقارنة، النموذج المعرفي، النظرية، المنهج، لصاحبه نصر محمد عارف. حيث يتناول إفرازات تيار ما بعد الحداثة وما نتج عنه من توجهات فكرية. تعرف حنيا إلى إعادة تفعيل مشاريع دينية قديمة).

وإذا عدنا إلى الواقع الإسلامي، نجد من بين أبرز التيارات، التي ظهرت والتي تختلف عن سابقاتها متمثلة في التيار السلفي، الذي يحاول إحياء فكرة الأمة الإسلامية لدى الشعوب المسلمة، وهي مدرسة دينية شمولية، وتحمل نفس نظرة الإسلام لكل ما كان سائدا قبله، فالعقل السلفي هو عقل مثالي (رقاد الجيلالي. كرايس الجيلالي، 2018: ص139)، حيث أنه يتمركز حول المفترض من خلال أن الإسلام جاء بنبرة واحدة موحدة، نافية لكل ما كان قبله، أو مدخلا له في نطاق الجاهلية، التي عرفها الإسلام على أنها الوضع الذي كان فيه الناس يجهلون فيه الدين الحق، الذي حدده الله لآخر مرة في الوحي الذي نقله الرسول محمد عليه الصلاة والسلام (محمد. أركون، 1999: ص 190-191).

إن الإسلام كتراث لا يعترف بأحقية الصحة والوجود للمعتقدات السابقة له، ويعتبر نفسه الشكل النهائي والنموذج المكتمل للدين السماوي الوحيد، هذه الخاصية التي انتقلت وانعكست على النزعة السلفية، التي لا تقدم نفسها على أنها مذهب إسلامي أو تأويل اعتقادي للنصوص المقدسة، كغيرها من المذاهب الأخرى، بل هي تقدم نفسها على أنها الإسلام قد استؤنف من جديد، وهي تنفي كل ما حولها من خلال توصيف بقية المذاهب والحركات على أنها انحراف عن الفهم الصحيح للإسلام، خاصة الإسلام السياسي، الذي هو في حالة مواجهة دائمة مع السلطة السياسية، وهنا يمكن الإشارة إلى خاصية المواجهة والصراع التي تشترك فيها السلفية مع غيرها من التوجهات، إلا أنها تختلف معهم في أساليب الصراع وأهدافه وخلفياته، فالإسلام السياسي يريد بعث مشروعه من خلال المشاركة في اللعبة السياسية، أما السلفية فتريد إطلاق مشروعها عن طريق إبطال أفكار ومعتقدات الطرف الأخر، وربطها بفكرة ما يجوز شرعا وما لا يجوز، لدى جمهورها الديني، حيث يمكن تشبيه السلفية بتلك الجماعات الرسالية، التي تنهض وتأخذ على عاتقها مهمة إعادة توظيف الرسالة الدينية في خطبها مع الجمهور، محافظة على شكلها الخام أو الأول، وهي أصلا تشترك فيه مع السياسيين، إلا أنها تتغافل هذا الأمر وتحاول ربط هذا الجمهور بالوعاظ والمبشرين من خلال ألفاظ فضفاضة وعامة (خليل أحمد. خليل، 2005: ص 16).

إن السلفية ترى أن أزمة الواقع الإسلامي هي أعمق من مطالب اجتماعية واقتصادية، أو تكوين جماعات مناوئة للسلطة السياسة، ولذلك هي تعبر عن رفضها للوضع القائم، عن طريق استدعاء الماضي وتقديمه على أنه النموذج الأمثل والأكمل، وهنا يمكن اعتبارها رفضا للظروف الاجتماعية القائمة، وهو رفض متشكل دينيا وأخلاقيا، اتجاه إساءات بعينها، وهو يعبر عن نفسه دون الحاجة إلى ولاء حزبي أو سياسي محدد أو حركة من اليمين أو اليسار (يورغن. هاربرماس، 2013: ص 192)، أي أن السلفية والتي يمكن أن نطلق عليه الدعوية أو العلمية، تعتبر نفسها ضمير الأمة، وبذلك هي تريد إصلاح الوضع القائم، لكن دون أن تقولب نفسها في أي تيار أو فكر معين، أو حتى مواجهة السلطة مواجهة مباشرة، لأن الحدود بينها وبين الإسلام وفي تصورها حدود تكاد تكون رفيعة ومتماهية، وهي من جهة أخرى ترفض فكرة الانشقاق، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي عن ما تسميه بالجماعة، التي ما هي إلا تعبير عن فكرة الأمة، ذلك المفهوم الذي اتفق كل المسلمين على أنهم في حالة انتكاس، منذ أن غاب هذا الأخير عن العقل المسلم، لا سيما المدرسة السنية التي أخذت على عاتقها فكرة الدعوة الأممية بمعنى العالمية، ولذلك نجد المجموعات التواصلية السلفية، تخاطب الجمهور بنبرة متضخمة، مستعملة مفهوم اهل السنة أينما وجدو، وهذا خطاب يلغي الدولة الوطنية والسيادة، ويغوص عميقا في هواجس الامة

الإسلامية، الباحثة عن الوحدة، كما ان مفهوم اهل السنة في القاموس السلفي، يعني المسلمين الحقيقيين، وهو يخرج كل التيارات والفرق التي يختلف معها المسلمون في الأصول، مثل الشيعة والأحمدية والدروز وحتى بعض غلاة الصوفية، حيث يرى **جورج طرابيشي** أن فكرة الأمة لم تتبلور في الواقع الإسلامي إلا بعد التحول من إسلام الرسالة إلى إسلام الفتوحات (جورج. طرابيشي، 2010: ص 90-91). أي من إسلام التوحيد ومعرفة الله، إلى السياسة الإسلامية وتسيير والمجتمع والبحث عن شرعية الوجود وشرعية التوسع، وهنا كان الإقصاء الديني أو التفسيق والتكفير هو الاستراتيجية الوحيدة والمتبعة من طرف كل إتباع الديانات، لشرعة شن الحروب وفتح الامصار واقصاء المخالفين.

من هنا يمكن الإشارة إلى أن السلفية تحمل نزعة نحو العالمية، وهي من جهة تبحث عن إعادة لملمة شتات الأمة الإسلامية من خلال تجاوز المذهبية، ورفض حالة الانشطار والتشظي داخل ذلك الجسم الواحد، الذي تطلق عليه مفهوم الأمة، ومن جهة أخرى، تريد تصدير الإسلام إلى مختلف أنحاء العالم، لأنها تعتبره دينا موجها للبشرية جميعا، وبذلك ما دامت تعتبر نفسها تجليا للدين الحق، فهي تسعى إلى نقله على طريقتها وعلى كيفيتها، وهنا يمكن القول: إن السلفية وجدت ضالتها في التكنولوجيا التواصلية، لكي تقدم نفسها للعالم، خاصة وأن من أهم مميزات الشبكات الاجتماعية: العالمية والتفاعلية والتنوع وتعدد الاستعمالات، بالإضافة إلى سهولة الاستخدام والتوفير الاقتصادي (نادية. بن ورقلة، دون سنة نشر: ص 10).

هذه الخصائص لا سيما العالمية والتوفير الاقتصادي، استطاعت السلفية توظيفهما في نقل أفكارها واقتحام هذا الميدان الجديد في الدعوة الدينية، فهو من جهة أزاح الكثير من العراقيل من طريقها، ومن جهة أخرى ألغى التكلفة المالية وأعطى السلفيين نوعا من الاستقلالية عن السلطة السياسية في مسالة التمويل، كما أن خاصية العالمية أتاحت للسلفيين فرصة إعادة تفعيل مشروعهم الديني، حيث أصبحت مواقع التواصل تعرف العديد من المجموعات والصفحات السلفية، التي هي إما مشتغلة بالترويج للمعتقدات السلفية، وغربلة التراث الإسلامي، من الانحرافات وإعادة ربطه بفكرة التوحيد، إذ من المعروف أن السلفية بمختلف تجلياتها، تعيب على المدارس الأخرى انحرافها عن فكرة التوحيد، وبذلك هي تنظر إلى كل الإشكال غير الموحدة بالشكل الصحيح، على أنها سوابق وانحرافات عن الدين الحقيقي (إيريك. فروم، بدون سنة نشر: ص 30).

ومن الأمثلة على ذلك يمكن الإشارة إلى مجموعة منهاج النبوة 2، التي تهتم بالرد على الفرق الإسلامية وتبيين الشريعة الصحيحة، انطلاقا من فهمها للإسلام، ومن جهة أخرى نجد مجموعة قناة البينة للأديان المقارنة والرد على الشبهات، التي تعمل على نشر الإسلام واثبات بطلان

الديانات الأخرى، ودعوة كل البشر إلى إتباع الإسلام بصفته النموذج الوحيد للخلاص، والملاحظ أن عدد المنتمين إليها يفوق 500 ألف عضو من مختلف دول العالم، وهذا يحيلنا أيضا للإشارة إلى ذلك الصراع العالمي بين أتباع الديانات، هذا الصراع الذي وجد فضاء حرا للتلاقي من خلال التكنولوجيا التواصلية، التي أزاحت الحدود والفواصل وجعلت من الترويج للدين امرأ لا يستدعي دخول المعابد، أو نشر القصاصات أو الكتب، بل إن الفضاءات التواصلية أتاحت للمؤمنين فرصة للتلاقي وطرح همومهم الدينية، في عالم بدأ يشهد نزعة نحو فرض فكرة أقلمة الدين (أوليفييه.روا، 2012: ص 27).

وهنا يمكن القول: إن السلفية تسعى من خلال هذا الحاضر المفعم بالعقلانية، إلى أن تعود إلى ساحة النقاش، من خلال خطاب مفعم بتجليات الماضي، مركزة على فكرة إحياء الأمة والانتساب إليها، غير آبهة بالواقع الذي يحكم المجتمعات الإسلامية، من خلال حدود جغرافية، وصراعات سياسية، واختلافات ثقافية، إلا أن منظري السلفية الذين يريدون بعث الدين المحض، يعتبرون أن عودته ستكون نهاية لكل الأزمات، التي يعرفها المسلمون عبر العالم، وهم بذلك يريدون إعادة صياغة هوية موحدة تدور حول معلم ديني واحد، كما أن هذه الهوية تكون قابلة للتصدير (أوليفييه.روا، 2012: ص 29).

وبذلك فالسلفية تعتبر أن الانتماء للأمة الإسلامية، هو أسمى من الانتماء إلى الوطن أو العرق أو القومية، وهي تعمل على استدعائها، لأنها النموذج الوحيد الذي عاش فيه المسلمون حالة من القوة، فالسلفية إذ تسعى إلى استعادة فعالية الإسلام حتى يستعيد المسلمون فعاليتهم، أي توحيد مختلف المذاهب الإسلامية، في قالب واحد، ومن جهة أخرى استعادة القدرة على تبليغ رسالة الإسلام إلى جميع البشر، تحت شعار أممية الإسلام، هذا الطرح الذي اعتبره جورج طرابيشي طرحا منافيا لفكرة الإسلام السمح، حيث اعتبر أن هناك خلطا بين فكرة النبي الأمي، وفكرة النبي الأممي التي لم تكن سوى إيديولوجيا تعهد المؤولين، بتقديمها لآيات القرآن، وعلى الأخص مسننوا السنة (جورج. طرابيشي، 2010: ص 95). وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أن الطرح السلفي، الطامح إلى العالمية، وجد في التكنولوجيا التواصلية طريقا مختصرا لتنفيذ مشروعه، حيث أزاحت الكثير من الحواجز من طريقه، والتي طالما وقفت عائقا بينه وبين التواصل مع كل أبناء الأمة، والفضل هنا يعود إلى ما وفره اللامكان للدعوة الدينية، التي خرجت من المحلي او انفلتت منه، واتجهت نحو الكونية، بعد أن تحررت من المكان المقيد بالزمن، حيث أن مواقع التواصل تلغي فاعلية المكان والزمان، وتأسس للحظة الكونية غير العابرة للحدود والقوميات والثقافات.

خاتمة:

لقد استطاعت التكنولوجيا التواصلية، أن تعطي مفهوما آخر للمجال العام، والذي كان من بين مسلماته تحييد الدين خارجه، وجعله من بين الأمور الخاصة، التي لا يمكن طرحها، أو مناقشتها داخل المجال العام الذي يعنى بكل ما يدخل في إطار الصالح العام، لكن يبدو أن التكنولوجيا الحديثة، قد استدعت الدين مرة أخرى، ليكون من بين القضايا الأساسية في الفضاء العام. خاصة لدى المجتمعات الإسلامية، التي تعتبر حالة التفتت والتشتت، التي تعيشها حالة مؤقتة، وأن مصير المجتمعات الإسلامية هو إعادة التوحد في كيان واحد، يحدده الدين ويرسم ملامحه، أي الأمة الإسلامية، هذه الفكرة التي تبحث عنها كل المدارس الفقهية والفكرية داخل الإسلام، لا سيما تلك المدارس الإحيائية، التي ترتبط بالماضي وتبني مختلف رهاناتها حوله. كالمدرسة السلفية ذات النزعة الأممية، وهنا نجد توافقا بين مواقع التواصل الاجتماعي، بصفتها ظاهرة عابرة للأوطان، والتوجه السلفي، الذي يسعى إلى إعادة إحياء المجتمع الإسلامي العالمي، حيث نجد هذه المواقع ساهمت وسهلت عملية التقاء المؤمنين بهذا الطرح من مختلف أنحاء العالم، من خلال كيانات افتراضية، تسعى إلى التجميع والتحضير للانتقال إلى الواقع، وتتجاوز حالة الدولة الوطنية، التي يعتبرونها مرحلة مؤقتة ومعادية للإسلام، من خلال فكرة الإسلام دين ودولة.

قائمة المصادروالمراجع:

1.المراجع:

1. أنطوني غيدنز، (دون سنة نشر)، **علم الاجتماع**، تر: فايز الصايغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، لبنان.
2. إيريك فروم، (دون سنة نشر)، **الدين والتحليل النفسي**، تر: فؤاد غريب، مصر.
3. أوليفييه هروا، (2012)، **الجهل المقدس زمن دين بلا ثقافة**، تر: صالح الأشمر، ط1، دار الساقي للنشر، بيروت.
4. أليكس ميكشللي، (1993)، **الهوية**، تر: على وطفة، ط1، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق.
5. جورج طرابيشي، (2010)، **من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث النشأة المستأنفة**، ط1، دار الساقي للنشر، لبنان.
6. هيربرت شلر، (2007)، **الاتصال والهوية الثقافية**، تر: روجي عبد سمعان عبد المسيح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
7. حسن الصفار، (2005)، **الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان**، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب الأقصى.
8. محمد أركون، (1999)، **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي**، تر: هشام صالح، ط1، دار الساقي، لبنان.
9. خليل أحمد خليل، (2005)، **سوسيولوجيا الجمهور السياسي الديني في الشرق الأوسط المعاصر**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان.

10. يورغن هاربرماس وآخرون، (2013)، **قوة الدين في المجال العام**، تر: فلاح رحيم، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد.

2. المجلات والدوريات:

رقاد الجيلالي وكرايس الجيلالي، (2018) **التواصل السلفي عبر الإنترانت وفكرة إعادة بعث المواطن الامي دراسة ميدانية لعينة من السلفيين**، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز العربي الديمقراطي، ألمانيا، العدد السادس.

2. عدي الهواري، (2012) مفهوم **العلاقات الدولية، مقاربات نظرية سوسيولوجيا الساحة الدولية**، دفاتر انسانيات، crasc، وهران، الجزائر، العدد 03.

3.هاني خميس أحمد عبده، (يونيو2013)، **الدين والثورات المصرية نموذجا رأى إستراتيجية**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث.

4. هناء سرور، (2015)، **الإعلام والاتصال، ووسائل التواصل الاجتماعي، وإثراء المحتوى القومي للتنمية الاقتصادية العربية الشاملة**، منشورات الجامعة الدول العربية.

5. مطاع بركات، (2006)، **الواقع الافتراضي: فرصه ومخاطره وتطوره (دراسة نظرية)**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 22، العدد 2.

3. المذكرات والرسائل الجامعية:

محمد منصور، (2012)، **تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الالكترونية العربية أنموذجا**، رسالة ماجستير في الإعلام والاتصال، الأكاديمية العربية في الدانمرك.

4. المواقع الالكترونية:

1.www.academia.edu

2.www.qou.edu/arabic/conferences/socialResponsibilityConf/dr_housniAwad.pdf

3. http://www.univ-medea.dz/Fac%5CD%5CManifestations%5Csouverainete_nouveau_systeme2009-2010/10.pdf

4.http://www.univ-djelfa.dz/revues/dirassat/index_htm_files/Makal11_12.pdf

5. www.enpl-lnfo.eu

6.http://www.ssnp.info/index.php?article=66879